

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ القبول: 2021/09/26

تاريخ الإرسال: 2021/08/03

ملخص: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على موضوع القيم ودورها الاجتماعي وكذا التطرق إلى أهم العوامل المؤثرة فيها، وتركيز الاهتمام على أهمية ووظائف القيم ودورها في الوقاية من المشكلات الاجتماعية والنفسية. لأن القيم هي بمثابة "الميثاق الأخلاقي" لأي مجتمع من المجتمعات أو أي نظام من الأنظمة الاجتماعية، إذ على أساسها تحدد الأسس والمعايير وتقام العلاقات... الخ. والقيم هي ضرورة اجتماعية ملحة لتربط وتماسك أفراد المجتمع وانضباطهم وتنظيمهم، كما أنها وسيلة للتقارب والتفاعل بين الأفراد خاصة في المجتمعات الإسلامية. لأنها تستند على مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي الذي يحث على القيم المحمودة ويدين القيم المذمومة وغير الأخلاقية التي تساهم بشكل أو آخر في إفساد وانحراف الأفراد وخاصة الشباب منهم. وبناءا على ذلك تطرقنا في بحثنا هذا إلى بحثين مهمين هما: المبحث الأول: وتناولنا فيه مفهوم القيم وأهميتها، أما المبحث الثاني: فتناولنا فيه دور القيم على المستوى النفسي والاجتماعي وأهم العوامل المؤثرة في النسق القيمي.

الكلمات المفتاحية: القيم، الدور الاجتماعي للقيم، وظائف القيم، العوامل المؤثرة في القيم، التنشئة الاجتماعية على القيم، النسق القيمي، الأسرة.

Abstract : This research aims to shed light on the topic of values and their social role as well as to address the most important factors affecting them, and focus attention on the importance and functions of values and their role in preventing social and psychological problems. Because values are tantamount to a "moral covenant" for any society or any social system, as on the basis of which the foundations and standards are established and relations are established ... etc. Values are an urgent social necessity for the coherence and cohesion of members of society, their discipline and organization, as well as a means of rapprochement and interaction between individuals, especially in Islamic societies. Because it is based on the principles and teachings of the Islamic religion, which urges commendable values and condemns the vilified and immoral values that contribute in one way or another to the corruption and deviation of individuals, especially young people from them. Accordingly, we discussed two important topics in this research: The first topic: We dealt with the concept of values and their importance, while the second topic: We dealt with the role of values on the psychological and social level and the most important factors affecting the value system

Keywords: Values, the social role of values, the functions of values, factors affecting values, and socialization of values.

حظي موضوع القيم باهتمام كبير من قبل المتخصصين في ميادين عدة كالفسلفة وعلم الاجتماع والتربية حيث تعتبر القيم من أهداف التربية والمنهج التربوي الرئيسية وقد أكد البعض أن التربية في جوهرها عملية قيمية، كما اهتم بدراساتها الباحثون في علم النفس بمعظم فروعه الاجتماعي والإرشادي والتطوري والتربوي، وهذا يؤكد أهميتها على مستوى الفرد والجماعة، فالقيم تمثل ركنا أساسيا من أركان الثقافة لأي مجتمع من المجتمعات، فالثقافة مجموعة من الأهداف والقيم والمعايير السلوكية التي تترجم أسلوب حياة الجماعة، وهي للفرد من أهم مكونات شخصيته، وتمثل دافعا قويا في توجيه سلوكه وهي التي تحدد نوع العلاقة بينه وبين مجتمعه لاشك أنها تجعله يحضى بالقبول الاجتماعي. أما في حالة تناقض قيمه مع قيم مجتمعه فإن ذلك سيؤدي به إلى أزمة نفسية وهذه الأزمة يمكن أن تؤدي به إلى الانحراف الاجتماعي.

أولا: مشكلة البحث.

إن تعدد تعريفات القيم يأتي من النظرة المعاصرة إلى المثاليات والغايات ولذلك فالقيم إجمالا هي المثاليات التي تسود في الأفراد وتتغلغل في نفوسهم ويتوارثها الأجيال ويدافعون عنها قدر الإمكان.

وإن مفهوم القيم أو القيمة هو الشيء المرغوب فيه سواء كان ماديا أو معنويا كالأفكار، العلاقات الاجتماعية، المهن، التخصصات الجامعية مثلا ترتيب القيم، اكتساب القيم، تعديل القيم، التكيف القيمي...الخ.

والقيم الاجتماعية هي مجموعة المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي، والتي تمثل موجّهات للأشخاص نحو غايات ووسائل لتحقيقها أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلا لغيرها، وتنشأ هذه الموجّهات عن تفاعل بين الشخصية والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وتفصح القيم عن نفسها في المواقف والاتجاهات والسلوك اللفظي والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة.

ومن هنا يمكن القول أن القيم رغم ثباتها إلا أنها تتغير وتتبدل حسب العواطف، وحسب الظروف، وحسب تفاعل الشخصية مع الواقع الاجتماعي...الخ. وبهذا تزداد أهميتها، وعليه فالسؤال المطروح هو: فيما تكمن أهمية القيم، وما هي وظائفها، وما هو دورها الاجتماعي؟.

ثانيا: أهمية وأهداف البحث:

إن أهمية البحث من أهداف البحث حيث سنحاول معرفة ما يلي:

- معرفة كيف تعمل القيم في توجيه السلوك.
- محاولة التعرف على أهم ال وظائف التي تقوم بها القيم.
- التعرف على مظاهر التكيف النفسي للقيم في معالجة المريض نفسيا.
- الكشف عن الدور الاجتماعي الذي تلعبه في توحيد أفراد المجتمع وتماسكهم وتبنيهم لقيم مشتركة.
- التعرف على أهمية القيم الإسلامية.
- كيف تحمي القيم المجتمع من خطر الانحراف والانزلاق.

الإطار النظري للبحث:

المبحث الأول: مفهوم القيم وأهميتها.

أولا: مفهوم القيم:

إن مفهوم القيم من المفاهيم الجوهرية التي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها فهي ضرورة اجتماعية موجودة في كل مجتمع إنساني، بحيث تبرز على شكل اتجاهات في الأفراد لأنها تغلغل في تكوينهم فهي تعبر عن نفسها في قوانين وبرامج التنظيم الاجتماعي وهذه القيم تختلف من مجتمع لآخر في

مدى صحتها فما نراه مقبولا في مجتمعاتنا قد يراه البعض الآخر على أنه غير صحيح وغير مقبول في بعض المجتمعات الأخرى (عبد الفتاح عفيفي، 1996، صفحة 190).

والقيمة- قيمة الشيء: قدره، وقيمه المنافع: ثمنه و جمع (القيمة): قيم.

ويقال "ما لفلان قيمة": أي ما له ثبات ودوام على الأمر، وأمر قيم: أي مستقيم، وكتاب قيم: ذو قيمة. (القيمة) – الأمة القيمة: المستقيمة المعتدلة (إيمان العربي النقيب، 2002، صفحة 13).

وفي محكم التنزيل قال تعالى: { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ } (سورة الأنعام الآية 161).

وقال تعالى: { وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } (سورة البينة الآية 05).

وبعدها نشأ المعنى الفلسفي للقيمة، فهو انتقال من دلالة مادية معروفة في علم الحساب وعلم الاقتصاد السياسي إلى دلالة معنوية تعبر عما في الأشياء من خير أو جمال أو صواب.

ولا تكاد كلمة "قيمة" تستعمل في الكتابات الاقتصادية المعاصرة، إذ يستعمل مصطلح "المنفعة" أو "الثمن". وذلك لأن الكلمة مع أنها تعني "الثمن" فمن الصعب تنقيتها مما لا تزال تتضمنه في الأذهان من معان فلسفية وأخلاقية واعتبارية.

وتستخدم كلمة "القيمة" في علم النفس الاجتماعي للدلالة على ما يخدم كهدف عام في مجموعة شاملة لعدد من الاتجاهات، حيث تعمل القيم في المجتمعات بوصفها "إطارا مرجعيا" مشتركاً في المواقف المتنوعة بحيث توفق بين الاتجاهات المختلفة في نظام متكامل مما يخلق مفهوم الواقع الاجتماعي الذي يمكن من خلاله الحكم على السلوك" (محمد أكرم العدلوني، 2002، الصفحات 38-39). وهذا يعني أنها بمثابة موجهات للسلوك في ضوءها يتم الاختيار والتفضيل بين البدائل الوسييلة أو الغائية.

وهي كذلك مجموعة متكاملة من الأحكام والمعايير التي تنبثق عن مجتمع ما، وتكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المعنوية والمادية، وتكون لها من القوة والتأثير على أفراد المجتمع بما لها من صفة الضرورة والإلزام والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف عنها يصبح بمثابة الخروج عن أهداف المجتمع.

وهي أيضا اتجاهات مركزية نحو ما هو مرغوب أو غير مرغوب أو ما يصلح وما لا يصلح. أما القيم بالنسبة لعلم الاجتماع فهي حقائق تعبر عن التركيب الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد وبين خبرات حياتية معينة. والقيم هي بمثابة "الميثاق الأخلاقي" لأي مجتمع من المجتمعات أو أي نظام من الأنظمة الاجتماعية، إذ على أساسها تحدد الأسس والمعايير وتقام العلاقات... الخ. والمجتمع الذي يعمل بدون قيم كالجسد بلا روح ولا ضمير.

ثانياً: أهمية القيم:

للقيم أهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع: حيث ان القيم:

- تسهم في إنتاج أفراد يتسمون بالسلوكيات والصفات الجيدة مثل المثابرة على العمل والتميز، والنجاح بعيداً عن الصفات السلبية وغير الجيدة.
- القيم تهئ للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم، وبمعنى آخر شكل الاستجابات، وبالتالي تلعب القيم دوراً هاماً في تكوين الشخصية الفردية ورسم أهم معالمها وفق معيار صحيح.
- القيم تثير في نفوس الآخرين الإعجاب والمحبة التي تنتهيج معها دوافع الاتباع والتنافس المحمود فيتولد لديهم حوافز قوية لأن يتمثلوا أخلاقها السامية وقيمتها الراقية. القيم تعطي للفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب

منه، وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق الإيجابي، وتحقق الرضا عن النفس للتجاوب مع الجماعة في مبادئها وعقائدها.

- كما أن للقيم دوراً هاماً في حياة الأفراد، فلها أيضاً دور أهم في حياة الأمم والشعوب.

ولا ريب أن المجتمع الإنساني، مجتمع تحكمه معايير في تعامله وعلاقاته مع الآخرين، بحيث تشكل هذه المعايير مجموعة من القيم الناعمة للأقوال والأفعال والمواقف والقرارات، والتي تظهر أهميتها من خلال:

- أن القيم تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه بتحديد الاختيارات الصحيحة والسليمة التي تسهل على الناس حياتهم.
- القيم تحفظ للمجتمع بقاءه واستمراره وتماسكه فتحدد له الأهداف ومثله الأعلى ومبادئه الثابتة والمستمرة.
- القيم تربط أجزاء الثقافة المتناثرة ببعضها البعض حتى تبدو متناسقة، كما تحفظ للمجتمع هويته وتميزه.
- القيم تسهم في بناء مجتمع متماسك وقوي يستطيع مواجهة التهديدات الخارجية.
- القيم تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً إيماناً وعقلياً يصعب زعزاعه أو إقلاقه.
- القيم تقي المجتمع من الأنايا المفرطة والنزاعات والأهواء والشهوات الطائشة التي تضرب في عمق وحدته (يوسف عكراش، صفحة 81).

ثالثاً: المفهوم الغربي للقيم:

تعتمد العلمانية في مبادئها على فكرة اللاديني (فصل الدين عن الدولة) أي فصله عن الأمور السياسية، كما تهتم وتشجع على القيم المادية .

فالقيم في المفهوم العلماني تتمثل في القيم المادية والسياسية مثل: (قيم الاستهلاك، الإنتاج، الربح، الصناعة، العلم، فصل الدين عن الدولة،... الخ. وكل ما من شأنه تحقيق أكبر قدر من المال والمصالح والمنافع الدنيوية، وهي تركز على هذه القيم دون غيرها من القيم وخاصة القيم الدينية.

حيث ارتبط مفهوم العلماني عند أسد طلال بإعادة صياغة علاقة القانون بالأخلاق، وحمل معه مشاعر العداوة والجحود لما هو ديني؛ مع كراهية للطقوس وسلطة الكنيسة، وقد تداخلت هذه الأحاسيس مع التفكير العقلاني والمشاريع المجتمعية الشاملة للإصلاح السياسي والاجتماعي؛ استناداً إلى الترسانة القانونية، وتعاليت صيحات بعض المفكرين العلمانيين بعدم جدوى الإيمان مع الإصلاح الاجتماعي والسياسي في عالم سريع التحول التكنولوجي؛ إذ لم يعد متاحاً المزج بين الأخلاق التي تعني الإيمان، وإعادة بناء المجتمع أو إصلاحه الذي يفترض أسساً جديدة مرتبطة بالقانون. وحتى يتم هذا الانفصال تم اختراع تصور مختلف عن الجماعة يقوم على أن المجتمع عبارة عن مجموعة سكان لا يحظون بحقوق وحصانة ذاتية وفاعلية أخلاقية فقط، ولكن يمتلكون أيضاً القدرة على انتخاب ممثليهم السياسيين، وعلى هذا الأساس يتم التفاوض بين الأخلاق الشخصية وقانون الدولة (alaT dasA, 3002, p. 42).

وبما أن المجتمعات الغربية الحديثة قائمة على أساس الوضع الاجتماعي والثقافي، فهي تتميز بدرجة عالية من الديناميكية، وهذا ما ساهم في ظهور عصر المادة والتكنولوجيا والاقتصاد، وما له من التأثير في العلاقات الإنسانية، فهذا التأثير له نتائج هامة حتى على الدين نفسه، وهذا التأثير هو أحد الأسباب التي تفسر تعود أعضاء هذه المجتمعات على استخدام النظرة التجريبية والعلمية في مجال المسائل العلمية، فهكذا يتزايد مجال العلمانية باستمرار على حساب ما هو مقدس، وهذا الاتجاه العلمي يعلل وجوده على أساس أن الاعتقادات الدينية والممارسات محدودة في قطاعات صغيرة ومتنوعة من قطاعات الحياة في المجتمع وأعضائه.

فالعلمانيون يعتبرون قيم الدين أشياء ثانوية ويمكن اعتبارها رواسب أو يمكن تصنيفها ضمن التراث التقليدي.

رابعاً: المفهوم الإسلامي للقيم:

إن المفهوم الديني والإسلامي ينظر للقيم على أنها عملية تفضيل تقوم على الاستقامة والاعتدال، وتنطلق أساساً من مصادر وأحكام الشريعة الإسلامية ومعاييرها ومبادئها، وهي تحدد المرغوب فيه حالاً طيباً وتأمراً به، والمرغوب عنه حراماً خبيثاً وتتهى عنه.

وتعمل القيم كدوافع أو مثيرات لسلوك الفرد والمجتمع نحو خلق الشخصية السوية المتكاملة وتنميتها، وذلك بما يكفل للفرد السعادة الأبدية.

كما يرى بعض المحققين أنه: "يصعب إيجاد فرق بين القيم والأخلاق على اعتبار أن الأخلاق تتصل بكافة الجوانب السلوكية في حياة الإنسان، ولكن القيم أوسع من الأخلاق، كونها مصدر لها. كما يتمحور موضوع الأخلاق حول عمل الفرد ونشاطه، وعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه ومع الناس ومع ما يحيط به من الجماد والحيوان. وتنقسم الأخلاق إلى نوعين أساسيين هما: الأخلاق الحسنة: كالصدق، والشجاعة، والكرم... الخ وهي قيم حسنة. والأخلاق السيئة: كالكذب، والبخل، والجبن، والرذيلة... الخ وهي قيم سيئة" (وسام طلال، 2015).

حيث أكد الإسلام على أن القيم ثابتة وأنها مرتبطة بالطبيعة البشرية ذات البعدين المادي ومعها أبعاد عقلية وروحية تتأكد معها علاقة القيم بالواقع، تنطلق غالبية الفلسفات الغربية إلى تفتيت القيم وتجعل من المجتمع المصدر الوحيد للقيم وتعتبرها نسبية تزيد عنها قدسيته وقوتها الإلزامية وتعتبر أيضاً أن الواقع هو مصدر القيم، فهي مقبولة إذ عادت بالمنفعة للصالح العام ومذمومة إذا لم تؤت ثمارها المحسوسة. فالمذاهب النفعية تعود بمعية القيم إلى الميول والرغبات وتعتبر أن الطبيعة البشرية تنحى باتجاه أكبر قدر ممكن من اللذة والمنفعة والأمر نفسه للمذهب البراغماتي الذي اعتمد المردود العملي معياراً للخير والشر، أما علماء الاجتماع فقد جعلوا المجتمع مصدراً للأخلاق (حاتم السعدي، صفحة 01).

وبالخلاصة، من السهل أن نلاحظ أن ثمة اضطراباً كبيراً بين المفهوم الإسلامي حول القيم وسائر المفاهيم المتداولة عالمياً، ويعود السبب في ذلك إلى التفاوت في فهم العلم وظيفته وهدفه حيث أراد الغرب العلم أداةً للمنفعة والقيم في المفهوم الإسلامي تتضمن كل أنواع القيم السابقة الذكر سواء الاجتماعية أو الاقتصادية، السياسية، النظرية، الأخلاقية والجمالية. وهي تدعو إليها وتدعمها ولكن وفق شروط ومحددات النظام الإسلامي. والذي يعتبر كمنهج شامل ومتكامل في الحياة.

خامساً: القيم والتغير الاجتماعي.

القيم مثلها مثل كافة الظواهر المجتمعية تخضع للتغير الذي يمكن إرجاعه إلى عاملين أساسيين:

أ- تغير التركيب الداخلي للبناء الاجتماعي.

يتأثر التركيب الداخلي لأي مجتمع بثقافة هذا المجتمع ووضعه الاجتماعي والاقتصادي وطالما أن المجتمع في تغير مستمر ودائم ولأن القيم ككافة الظواهر الاجتماعية يمتد إليها هي الأخرى التغير والتطور، مما ينتج عنه تغير في الهرم القيمي للمجتمع ولسائر أفرادها، ولأن التغير نحو الأفضل يعد أحد الظواهر الصحية فلا بد أن يستتبع التغير الاجتماعي تغيراً في النسق القيمي من أجل التكيف مع المتغيرات بما يساهم في تحقيق وحدة وتماسك المجتمع. فالتغير يلحق كل شيء حتى القيم والأخلاق التي ينبغي لنا أن نربي أولادنا عليها، فهم خلقوا بالفعل ليعيشوا زمناً ومجتمعاً غير زماننا" (إيمان العربي النقيب، 2002، صفحة 32).

ب- ضغوط القوى الخارجية:

مع تغير التركيب الداخلي للبناء الاجتماعي والذي يسبقه عملية الحراك الاجتماعي ومع التغيرات الاجتماعية والثقافية الهائلة والمواكبة للانتشار الثقافي والانفتاح على العالم الخارجي ومع تطور الاتصالات ومصادر تبادل المعرفة، كان لا بد من تواجده واقع اجتماعي جديد يحمل قيماً وأفكاراً واتجاهات وافدة من العديد من المجتمعات، وذلك الوافد الجديد يمكن أن نطلق عليه قوى الضغط الثقافي. تلك القوى التي تسعى جاهدة لفرض ثقافتها وقيمتها على مجتمع ما، وإن نجحت في فرض هيمنتها الثقافية

على أحد المجتمعات سوف تصيب هذا المجتمع بانعدام الاتزان وفقدان الهوية الثقافية (إيمان العربي النقيب، 2002، صفحة 32).

سادسا: القيم والتنشئة الاجتماعية:

فالتنشئة الاجتماعية هي عملية يتعلم ويستنبط من خلالها الفرد القيم والمعايير والمبادئ الرمزية لمحيطه ويدمجها مع شخصيته، فهي تنتقل للأفراد من خلال كل المؤسسات التي يحتك بها الفرد خلال حياته الاجتماعية، والقيم هنا عملية تظهر من خلال التنشئة الاجتماعية التي تطبع في الشخص أو تغرس فيه قيما اجتماعية جديدة على الدوام.

بحيث يمكننا القول أنّ الأسرة هي التي تشكل الشخصية على اعتبار أنّ هذه الأخيرة يمكننا النظر إليها كما نظر إليها "تالكوت بارسونز" باعتبارها "نسق علائقي لعضوية حية تتفاعل مع موقف، ولذلك يجب أن تفهم الشخصية في إطار المتطلبات الوظيفية لوحدة العضوية - الشخصية" (عبدالكريم الحوراني محمد، 2008، صفحة 203)، فهي المنطقة التي تتجمع فيها العلاقات بين الكائن العضوي والموضوعات في البيئة الخارجية خاصة الموضوعات الاجتماعية والثقافية على حد تعبير "غي روشي" (عبدالكريم الحوراني محمد، 2008، صفحة 204).

فالأسرة هي التي تزود الفرد بالرصيد الأول من القيم (...) يتلقى الطفل أول درس عن الحق "والواجب والصواب والخطأ والحسن والقبح والمرغوب فيه والمرغوب عنه وما يجوز وما لا يجوز، وما يجب عليه أن يفعله وما يجب أن يتجنبه ولماذا يتجنبه، وكيف يكسب رضا الجماعة ويتجنب سخطها" (طبشوش نسيم، 2011، صفحة 158).

ومن هنا تعتبر التنشئة الاجتماعية من العمليات الأساسية التي يتلقاها الفرد خلال حياته الاجتماعية فتبدأ هذه العملية منذ ولادته، إذ تعتبر الأسرة من أوائل المؤسسات الاجتماعية التي تتولى القيام بهذه العملية، حيث تقوم بترويض الفرد على آداب السلوك الاجتماعي وتعليمه لغة الجامعة وعاداتها وتقاليدها وتلقينه الدور الاجتماعي الذي يجب أن يقوم به، وذلك لكي يصبح عضوا في الجماعة ويندمج مع محيطها الاجتماعي.

سابعا: القيم بين تعاليم الدين وواقع الأفراد:

إن الأحاديث والأقوال عن الأخلاق والقيم والمبادئ والآداب... الخ التي ينبغي أن تسود الحياة الاجتماعية كثيرة، ولكنها تبقى معلقة في الأذهان ما لم يحولها الناس إلى حقيقة حية تتحقق وتحرك على الأرض، ولم يترجموها في سلوكهم وتصرفاتهم ومشاعرهم وأفكارهم...، إلى درجة أنها أصبحت في حالة رفضها الدين وندد بها القرآن.

ويقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } (سورة الصف الآية 02) والقيم فطرية في الناس، يقول الله تعالى: { فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فُطْرًا عَلَيْهِمْ لَا تَبْدِيلَ لَخُلُقِ اللَّهِ } (سورة الروم الآية 30).

فإذا لم يكن الخلل في القيم والفضائل فلا يكون إلا في البشر، لأن النفس البشرية هي التي حدث فيها الخلل، أصبحت نفس الواحد تعيش اللحظة وتقرأ حساب كل شيء بلغة الأرقام والمصلحة المادية. وتنسى واجباتها في التربية ومسؤولياتها في تكوين الأجيال. حيث أصبح الواقع هو الذي يتحكم في النفس، ويوجهها حيث أراد، أما العبادات فلا أثر لها في التصرفات والعلاقات، وغياب مفهوم القدوة في الأسرة، فالولد الذي يلاحظ الأب يكذب لا يمكن أن يتعلم الصدق ويطبقه، ويرى أمه تغش أخاه أو تغشه هو، لا يمكن أن يعرف للأمانة سبيلا، والبنات التي ترى استهتار الأم وقلة حيائها فلا يمكن أن تدرك معنى الفضيلة.

المبحث الثاني: القيم ودورها الاجتماعي والعوامل المؤثرة فيها.

أولا: وظائف القيم:

عادة ما تؤدي المواقف الاجتماعية التي يواجهها الفرد في حياته اليومية إلى استثارة عدد من القيم داخل نسق القيمة، ومن ثم قد يؤدي هذا إلى صراع بين أكثر من نمط سلوكي، وبهذا فإن وظيفة نسق القيمة هي الإسهام في خفض حدة الصراع والمساعدة على اتخاذ القرار. فأما الوظائف البعيدة المدى للقيم فهي التعبير عن الحاجات الإنسانية الرئيسية (صفة إنسانية)، ذلك أن القيم تنطوي على عناصر معرفية وعاطفية وسلوكية، وهكذا فإن نسق القيمة يحقق التوافق واحترام الذات وتحقيقها، وكل هذه تعتبر من الحاجات الإنسانية.

1. وظيفة القيم بالنسبة للفرد:

تهيئ القيم للفرد خيارات معينة، فتكون لديه إمكانية الاختيار والاستجابة لموقف معين، فتلعب دوراً هاماً في بناء شخصيته، كما أن القيم تعطي الفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه، لذلك فهي تجعله أقدر وأصبر على التكيف كذلك فإنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان لأنها تقويه على مواجهة ضعف النفس، والقيم تدفع الفرد لتحسين أفكاره ومعتقداته، وتساعده على فهم الآخرين من حوله، وتوسع إطاره المرجعي في فهم علاقاته مع الآخرين، كما أنها تعمل على إصلاح الفرد اجتماعياً وأخلاقياً ونفسياً وفكرياً وثقافياً.. الخ، لأن القيم وسيلة علاجية ووقائية للفرد، كما أنها تعمل على ضبط نزوات الفرد وشهواته ومطامعه (وظائف القيم في حياة الفرد والمجتمع، 2021).

2. وظيفة القيم بالنسبة للمجتمع:

تحافظ القيم على تماسك المجتمع، وتساعده على مواجهة التغيرات التي تحدث كما أنها تربط بين أجزاء الثقافة في المجتمع لأنها هي التي تعطي النظم الاجتماعية أساساً عقلياً، والقيم تحمي المجتمع من الأنانية والدونية الطائشة، وتزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع المجتمعات الأخرى من حوله، كما أن القيم تجعل سلوك الجماعة عملاً تبتغي به وجه الله تعالى (وظائف القيم في حياة الفرد والمجتمع، 2021).

وبعد التعرف على الوظائف المهمة للقيم على المستوى الفردي والاجتماعي، على المربي السعي لاستعمال الآليات المناسبة في غرسها لدى أبنائه.

ثانياً: تأثير القيم على السلوك:

في كل جماعة وفي كل مجتمع تنتظم مجموعة من القيم يشترك فيها الناس وتنظم سلوكهم الاجتماعي، ويطلق على هذا نظام القيم القائم في الجماعة أو المجتمع والذي يختلف في مجموعته عن نظم القيم في الجماعات أو المجتمعات الأخرى، وإن اشترك معها في بعض نواحيه. وضمن سياق تأثير القيم في إدراك الأفراد للأشياء المختلفة، فقد وجد مثلاً أن الأشخاص الذين تسود لديهم القيم الدينية يدركون الكلمات والمفاهيم الدينية ويتعرفون عليها بسرعة وبسهولة أكثر من غيرها من الكلمات، أي أنهم يمتلكون إدراكاً سريعاً لمثل هذه المصطلحات والمفردات.

حيث توصلت نتائج الدراسة التي قام بها كل من : أ.د. أحمد عبد الحليم عريبات ود. ياسين علي المقوسي من قسم الإرشاد والتربية الخاصة. جامعة مؤتة بالأردن. تحت عنوان " أثر القيم الدينية في ضبط السلوك الاجتماعي وعلاقتها في بعض المتغيرات لدى طلبة كلية العلوم التربوية في جامعة العلوم الإسلامية، إلى أن درجة امتلاك الطلبة لمنظومة القيم الدينية جاءت مرتفعة، وكذلك مستوى ضبط السلوك الاجتماعي جاء أيضاً مرتفعاً، وأشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين القيم الدينية وضبط السلوك الاجتماعي، وعدم وجود فروق دالة إحصائية بقوة العلاقة الارتباطية تُعزى لأثر الجنس والتخصص. وأوصت الدراسة بضرورة قيام الجامعات بتعزيز القيم الدينية لدى طلبة من خلال الخطط الدراسية والندوات والمحاضرات والأنشطة الطلابية" (مجلة الجامعة الإسلامية العالمية).

وهكذا نجد الأشخاص الذين تسود لديهم قيمة من القيم عن غيرها تؤثر في سلوكهم، فالقيم تساعد بشكل كبير وواسع في توطيد العلاقات وجعلها أكثر متانة بين أفراد المجتمع الواحد.

ثالثاً: دور القيم في مجال الوقاية من الأمراض النفسية – الاجتماعية.

للقيم دور في مجال الوقاية لا يقل أهمية عن مجال العلاج، وذلك سواء فيما يتعلق بالوقاية من الإصابة بالأمراض النفسية، أم الوقاية من بعض المشكلات الخطيرة كمشكلة تعاطي المخدرات.

وقد أوضحت نتائج الدراسات أن الحياة المستقرة في ظل القيم الدينية والأخلاقية كانت أحد العوامل الهامة في وقاية الأفراد من الإصابة بالأمراض النفسية حيث كان الدين عاملاً هاماً في معاونتهم على التكيف" (عبد الفتاح محمد دويدار، 1994، صفحة 248).

أما بالنسبة لدور القيم في الوقاية من تعاطي المخدرات، فقد كشفت نتائج الدراسات عن وجود علاقة سلبية بين الاتجاه نحو تعاطي المخدرات والالتزام بالقيم الأخلاقية والدينية (عبد الفتاح محمد دويدار، 1994، صفحة 248).

وبوجه عام يتزايد الاعتقاد الديني بأن الحشيش يعد حراماً لدى الأفراد غير المتعاطين عن الأفراد المتعاطين. وبالتالي يجب توجيه الاهتمام في برامج الوقاية من تعاطي المخدرات، وذلك بغرس القيم الدينية المعتدلة. وذلك من خلال خطة قومية تشمل على قطاعات مختلفة من الجمهور، خصوصاً جمهور الشباب.

رابعاً: العوامل المؤثرة في اكتساب القيم:

يكتسب الفرد قيمه ابتداءً من الأسرة والمدرسة فجماعة الأقران ووسائل الإعلام والجامعة والمهنة والتخصص ووسائل فرعية أخرى ضمن المجتمع وكل هذه الوسائط تستقي قيمها من ثقافة المجتمع الذي بدوره يتلقح من ثقافات مجتمعات أخرى بحدود معينة.

أ- الأسرة:

الأسرة أو العائلة هي الخلية الأولى لأي مجتمع، وهي الوعاء الأساسي لأي إنسان، وهي الوسيط للتنشئة البشرية وهي الأساس الأول لأي قيمة يكتسبها الفرد، ولذلك فدورها لا ينمو إلا به ولا ينجح إلا من خلاله، لأنها وعاء القيم المجتمعية والإنسانية والعالمية والإسلامية أيضاً.

ولأن الأسرة هي المحيط الاجتماعي الأول الذي يشمل فيه الطفل الاتجاهات والقيم، وفيها تتكون الدعائم الأولى للشخصية وما يتكون في هذه الفترة لا يمكن تغييره أو تعديله بسهولة لارتباطه بخبرات الطفل الأولى. فإننا ندرك مدى أهمية دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية" (عبد الرحمن العيسوي، 1985، صفحة 33).

وتبدأ عملية اكتساب القيم منذ الصغر وبتأثير الوالدين، فالفرد يعتمد في تكوين ذاته المثالية على الوالدين، ويكتسب الأبناء قيم الآباء من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وتختلف القيم التي يكتسبها الأبناء باختلاف الطبقات الاجتماعية لأبائهم" (عبد الرحمن العيسوي، 1985، صفحة 211).

إذن فالقيم تكتسب من خلال عملية التطبيع الاجتماعي للفرد منذ مولده ومن خلال تفاعله الاجتماعي مع الآخرين في المجتمع، وهي جزء مما يسمى بالتكوين النفسي والاجتماعي للفرد.

والأسرة هي الأساس في التربية وغرس القيمة لدى الأبناء والمدرسة فقط المكمل لدور الأسرة. لذا وجب على الآباء والأمهات أن يحسنوا تربيتهم وفق تعاليم الدين وعادات وتقاليد المجتمع ليكونوا أبناء صالحين.

إذن تلك هي القيم وغيرها التي تنتجها الأسرة وتغرسها في الفرد ليتعامل بها وفق الطريقة التي تلقاها بها أو عكسها حسب الظروف التي تطبع حياته " وتقول الباحثة زردومي نفيسة في هذا الصدد

"منذ السنوات الأولى لوجود الطفل داخل الأسرة ترسخ فيه العوامل التي تطبع تربيته بطابع تقليدي" (Zerdoumi nafissa, 1982, p. 39).

ب- المدرسة:

بعد ما رأينا أن الأسرة تعتبر الأساس الأول في غرس القيم والمبادئ الدينية. يأتي بعد ذلك دور المدرسة في التوجيه والوقاية والتعزيز لهذه القيم التي غرست في نفس الطالب.

ومن بين القيم التي تحت عليها المدرسة نجد: قيمة بر الوالدان وقيمة احترام المعلم، وتقدير العلم وقيمة احترام العمل وأيضاً قيمة تدعيم الانتماء الوطني لدى الأبناء والعديد من القيم الأخرى المتعددة.

حيث يرى 'جون ديوي': "بأنها ضرورة اجتماعية لأن البيت هو صورة الحياة الاجتماعية التي تربي فيها الطفل واكتسب من صلتها بها عاداته الخلقية، ومهمة المدرسة أن تبسط وتعمق شعوره بالقيم المرتبطة بحياته المنزلية" (أحمد فؤاد الأهواني ، 1968 ، صفحة 157).

ويعرفها 'إميل دوركايم : Emile Durkheim': "بأنها عبارة عن تعبير امتيازي للمجتمع الذي يوليها بأن تنتقل إلى الأطفال قيماً ثقافية وأخلاقية واجتماعية يعتبرها ضرورية لتشكيل الراشد وإدماجه في بيئته ووسطه" (مصطفى محمد الشعبيني، 1974 ، صفحة 16).

ج- المسجد:

يلعب المسجد دوراً مهماً في حياة الفرد المسلم لأنه يرافقه منذ سن السابعة وهو السن الضروري لفرض الصلاة على الطفل في نظر الفقهاء حتى غاية وفاة الفرد، وهذا ما يعكس دوره الكبير في حياة الفرد والمجتمع.

ويعتبر المسجد من العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الولد العلمية والروحية والجسمية. لذا فيجب إيجاد ذلك التعاون الوثيق بين البيت والمسجد والمدرسة حتى يسهل على الوالدان الحفاظ على قوة وتماسك العمران الأسري للناشئين وبالتالي يستفيد من تربية أسرية إسلامية متكاملة تضمن تحقيق تنشئة اجتماعية سوية ومتوازنة وهادفة.

ويعتبر المسجد في حياة المسلمين عامة وفي الحياة الأسرية خاصة مركز إشعاع لقيم الحضارة الإسلامية الهادفة، إذ هو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون من أجل عبادة الله تعالى بإقامة الصلاة مصداقاً لقوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ (الأبصار). (سورة النور الآية 36).

وللمسجد أهداف تتعلق بغرس العقيدة الإسلامية والقيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية والعبادات الإسلامية والتدريب عليها فهما وعلماً وممارسة" (مراد زعيمي ، دت، صفحة 126).

دجماعة الرفاق:

الفرد يكتسب نسق القيم من الجماعة التي يعيش فيها وينتمي إليها بفعل الخبرة المباشرة والاحتكاك الدائم أي بتأثير عملية التنشئة الاجتماعية، وهي إن كانت تختلف من جماعة مرجعية لجماعة مرجعية أخرى داخل إطار الثقافة الواحدة إلا أنها لا تختلف كثيراً عن قيم المجتمع الأصلي" (سيد محمد عبد العال ، دت، الصفحات 293-294).

وقد توصل 'بيكر : Becker': "إلى أن الرفاق وما بينهم من علاقات اجتماعية تشمل تناول الأحاديث والمناقشات له عظيم الأثر على القيم والسلوك الديني وخاصة إذا كان هؤلاء الرفاق يوجد بينهم أفراد متدينون" (سيد محمد عبد العال ، دت، صفحة 108)

والفرد يكتسب ويمتص الكثير من القيم السائدة في الوسط الثقافي الذي يعيش فيه، ويمكن عن طريق التفاعل داخل الجماعة تعديل واكتساب القيم والاتجاهات، وللجماعة القدرة على إكساب الفرد القيم والسلوك الاجتماعي المرغوب فيه.

ويتأكد دور هذه المؤسسة في مرحلة التغييرات الاجتماعية والنفسية التي تحدث للشباب والطلاب، مما يلجأ فيه الشباب إلى كثير من أقرانه، لتحقيق نوع من التكيف النفسي والاجتماعي والقيمي... (كوشت طامة، 2001، صفحة 81).

هـ-الجامعة:

يؤكد 'بارسونز تالكوت Parsons Talcott': "على دور الجامعة في التنشئة الجامعية، ويرى أن دورها لا يتجاوز دور الأسرة والمدرسة فحسب بل يكمله، فالجامعة تمثل النخبة المثقفة التي يعول عليها في ديمومة الحضارة والثقافة وتسيير عجلة التنمية وإدامة تطوير المجتمع، فهي تضم أساتذة يمثلون (اعتباريا) أعلى درجات العلم. ونظاما علميا يمثل محكا لنمو المجتمع ولرقيه العلمي والحضاري وتقاليد جامعية تبعث في الطالب نوازع نفسية وتربوية (رياض أحمد الدباغ، 1989، صفحة 92).

وللجامعة دور مهم في إعادة بناء نسق القيم لدى طلبتها، حيث إنها الأماكن التي يخلد المجتمع نفسه من خلالها تفيد بالناشئة في المراحل العمرية الأولى، وأن دراسة قيمها وتقاليدها يجب أن يحتل مركز الاهتمام، لا سيما وأن الدراسات قد تضاربت نتائجها حول أثر الجامعة في تغيير القيم".

وبهذا يكون ميدان القيم ميدانا هاما فهو يعتبر أحد أبعاد الجانب الانفعالي في عملية التعليم والتعلم وهو الذي يترك أثرا دائما في شخصية الطلبة وتصرفاتهم ولذا فتتبع هذا الهدف يعتمد على فعالية عملية التعليم والإرشاد التي توفرها الجامعة وعلى الخصائص الاجتماعية والنفسية التي يتسم به تنظيمها وخاصة إذا أمكن القول بأن الجامعة تتميز بثقافة خاصة بها وتحتوي على قيم ومعايير معينة، وبالتالي فإن الطالب يمثل قيم هذه الثقافة عن طريق معاشته لها في الحرم الجامعي. وتكون درجة التمثيل على قدر وضوح هذه الثقافة ويكتسب الطلبة قيمهم من خلال محتوى المنهج وكما يتفاعل مع أسلوب معين من أساليب التعلم ومن خلال التعبير الصريح للقيم من قبل مدرسيهم داخل القاعات الدراسية وخارجها وعن طريق توحيد هؤلاء الطلبة ببعض مدرسيهم وتبني قيمهم.

وهكذا يتضح بجلاء أن للجامعة تأثيرا كبيرا على قيم طلابها ولا يعود هذا التأثير لعامل معين وإنما لعدة عوامل منها المنهج الدراسي والمدرس والعلاقات والزمالة والنشاط الجامعي والمناخ الجامعي بشكل عام.

ي- وسائل الإعلام:

حيث يتعرض الطفل لوسائل الإعلام باعتبارها أحد أهم هيئات التنشئة الاجتماعية في مجتمعنا الحديث، والتي تسعى لتدريب الأطفال على قيم وسلوكيات اجتماعية معينة. فتلك الوسائل تقوم بدور هام وخطير، فوسائل الإعلام على مستوياتها المختلفة المسموعة والمسموعة المرئية، المقروءة بما تمتلكه من مقومات وقدرات وإمكانات درامية فعالة قادرة على شد انتباه المستمع، المشاهد والقارئ بطريقة قد تصل لسلب إرادة الفرد.

ولما كانت تلك الوسائل تشكل جزءا هاما وخطيرا في نقل القيم والاتجاهات والسلوكيات والأفكار إلى الكبار فما بال الصغار الذين لم تتشكل شخصيتهم بعد. حيث تقوم تلك الوسائل بتبني قيم معينة يتم تضمينها خلال الوسائل المرئية، المسموعة والمرئية والمقروءة، من أجل تحقيق أهداف التنشئة الموجهة عادة بالإيديولوجية الرسمية في المجتمع.

وعلى الرغم من أن وسائل الإعلام لها دور خطير وحيوي في التأثير على الأفراد داخل المجتمع، إلا أن هذا التأثير يتأثر بعدة عوامل أهمها: المرحلة العمرية، سمات الطفل، المستوى الاجتماعي والثقافي الذي ينتمي له الطفل، السياق الاجتماعي المحيط بالطفل.

إلا أنه هناك دور فعال وإيجابي لهذه الوسائل. ولقد أشارت دراسات مختلفة إلى العديد من التأثيرات الإيجابية للتلفاز على أفكار الأطفال وقيمهم، إضافة إلى أن الأطفال يتشربون من خلال التلفاز العديد من أشكال السلوك الاجتماعي كتحمل المسؤولية، تعلم الدور الاجتماعي والتنميط الجنسي، ضبط النفس، استشراف المستقبل، فإنه تسهم بصورة فعالة في تكوين وتنمية القدرة على الحكم القيمي لدى الأطفال" (إيمان العربي النقيب، 2002، صفحة 69).

والمثال الحي على ذلك في واقعنا ما نشاهده في قناة الأطفال "طيور الجنة" وما تبعها من قنوات وما تحويه من برامج قيمة للأطفال تحمل قيما ومبادئ إيجابية.

خاتمة:

إذن فالقيم في عالم اليوم أصبحت عملة نادرة، حيث اختلطت هذه القيم بالماديات، فساد في عالم اليوم الفساد والقلق والتوتر والعصبية والانحراف، مما أدى إلى الارتفاع الكبير في الجريمة وانتشار الانتحار واليأس والقنوط... الخ. ولا مخرج من ذلك إلا بالعودة إلى القيم، وأن القيم هي التي تجعل من الفرد إنسانا بمعنى الكلمة يعيش في أمن وطمأنينة. وبدونها تصبح حياة الفرد مادية مملة مما يدفعه للضجر والاشمئزاز وذلك ما يدفعه للانتحار للتخلص من حياته.

وما أوجنا إلى القيم الإسلامية التي تنتشلنا من الضياع الذي يشعر به الغرب.

وإنه من الواجب العمل به من قبل الوسائل الاجتماعية هو الحث على التقليل والتضييق من الفجوة الذهنية والتفكيرية والقيمية بين جيل الشباب وجيل الكبار، وحث الشباب على مواجهة حملات الغزو الثقافي أو بالأحرى انتقاء ما يصلح منها ويخدم مجتمعنا من الثقافات الوافدة، والحفاظ على القيم الأصلية في المجتمع خاصة الإيجابية منها، والقيام بالمساهمة في حل المشكلات الاجتماعية خاصة في المرحلة الراهنة، وذلك من خلال معرفة أسبابها ونتائجها ومعالجتها على نحو علمي هادف، وهذا من أجل الراحة الذهنية والعقلية والصحة النفسية والجسدية للأفراد وخاصة فئة الشباب.

مراجع الدراسة:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أحمد فؤاد الأهواني . (1968). نوابغ الفكر الغربي (جون ديوي). القاهرة : دار المعارف.

Asad Tala. (2003). Formations of the Secular: Christianity, Islam, modernity. Standford: Stanford University Press.

Zerdoumi nafissa. (1982). enfant d' hier , 'l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algerien. paris: francois maspero.

إيمان العربي النقيب. (2002). القيم التربوية في مسرح الطفل. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.

حاتم السعدي. (بلا تاريخ). القيم التربوية من وجهة نظرة الفلسفة الإسلامية مكتبة العتبة الحسينية المقدسة. تم الاسترداد من موقع دار العراق: hajij.com/ar/articles/religious-articles-viewpoints/item/4399

رياض أحمد الدباغ. (1989). تنمية الجانب الأخلاقي والتربوي لدى طلبة الجامعة. مجلة آداب المستنصرية(العراق).

سورة الأنعام الآية 161. (بلا تاريخ).

سيد محمد عبد العال . (دت). مدخل إلى علم النفس الاجتماعي.

طيشوش نسيم . (2011). القنوات الفضائية وأثرها على القيم الأسرية لدى الشباب. الجزائر : مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.

عبد الرحمن العيسوي. (1985). سيكولوجية التنشئة الاجتماعية . الإسكندرية: دار الفكر العربي.

عبد الفتاح عفيفي. (1996). بحوث في علم الاجتماع المعاصر . مصر: دار الفكر العربي.

عبد الفتاح محمد دويدار. (1994). علم النفس الاجتماعي وأصوله ومبادئه. بيروت: دار النهضة العربية.

عبدالكريم الحوراني محمد . (2008). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع التوازن التفاضلي صيغة توفيقية بين الوظيفة والصراع. عمان ،الأردن: دار مجدلاوي.

كوشت طامة. (2001). الشباب بين التعليم وثقافة التقليد، دراسة ميدانية لبعض المراكز الثقافية بالعاصمة. الجزائر: جامعة الجزائر.

مجلة الجامعة الإسلامية العالمية . (بلا تاريخ). تم الاسترداد من Journals.iugaza.edu.ps

محمد أكرم العدلوني. (2002). العمل المؤسسي. بيروت: دار بن حزم.

مراد زعيمي . (دت). مؤسسات التنشئة الاجتماعية. عنابة، الجزائر : منشورات جامعة باجي مختار.

مصطفى محمد الشعبيني. (1974). دراسات في علم الاجتماع. مصر: دار النهضة العربية.

وسام طلال. (21 05, 2015). أهمية القيم. تم الاسترداد من mawdoo3.com

وظائف القيم في حياة الفرد والمجتمع. (10 04, 2021). وظائف القيم في حياة الفرد والمجتمع. تم الاسترداد من nir-osra.org

يوسف عكراش. (بلا تاريخ). منظومة القيم. مجلة قضايا فكرية (540).